أربع نقاط

خشب وورق

مثقف من خشب ، خشب محطوب، رموه من الأعالي، رموه في نهر وتسلموه عند فم البحر، مثقف ريّان بماء الثلج وماء الملح، مثقف خشبي، لا يكتب كلاماً، مثقف يُصنع مع الورق، يأتي الى الناس جاهزاً: الورقة وما يُفترض ان يكتبوا عليها، مثقف لا يُقلق، يطلب توقيعاً تحت كلامه القديم.

انسان لبنان الطائر

إنسان ابن سينا الطائر ، فرضية قدمها المفكر العربي الاسلامي، تمهيداً لواحد من براهينه على وجود النفس.

انسان لبنان الطائر، فرضية يجري تقديمها عفوياً منذ اربع عشرة سنة لبرهان غير مقصود على وجود لبنان.

طلبوا الشيء فوجدوا عكسه. غير هذا اللبنان لا يحتملهم، يمثلون المواطنين ويمثلون السفارات في التباس عبقري، رعاة الفقراء الذين يجنون أكثر من آبار النفط ومناجم الذهب ،الملونون بالافكار يمنعون الفكر باسم افكارهم الملونة، خواتيم الافكار والالوان ونهايات العبقريات الشرقية.

انسان لبنان الطائر، تتجاذبه الجهات كلها، فيجمد في مكانه العلوي، انسان لبنان المعلق في الفضاء، يوغلون في جذبه فيبقى وحيداً مميزاً عن جاذبيه. يعشقه جاذبوه كخائن يعشق عدوه، كجلاّد يعشق ظهر معذبه المثخن بالجراح

كم هو غني ولا يملك شيئاً.

وكم هو تراث الحرية لايفنى ، وكم هي الحرية تبقى مرفرفة في صدر المقيم في الزنزانة، والسجان عبد لا يعرف التصرف في طريق رحب ولا في افق مفتوح.

المفسّرون

السرّ الحاكم يحكمنا لا نعرفه، مخبأ خلف حجاب القصر لا يعرفه الحراس ولم يره خدم الداخل، سيد القصر غير موجود ومع ذلك فهو السرّ الحاكم، يدّعي أناس أنهم رأوه وأنه قال لهم ويفسرون قوله وينشرون اقوالهم المفسرة لقوله غير المعروف، يذيعونها ويعتمدونها قدس أقداس الجماعة.

السرّ يحكمنا لا نجرؤ ان نسأل عن أصل القول، نبقى في التفسير ونعتمد التفسير أساساً لسلامنا القليل وحربنا الكثيرة، لهنائنا النادر وجوعنا الطويل، لمعرفتنا المحدودة وجهلنا العميق كعمق ليل بلا كهرباء.

السرّ الحاكم، ثم اختلف المفسّرون ولم يطلعونا على الأصل لنعرف أيّ التفاسير أقرب اليه، قالوا: أي التفاسير أقرب الى نفسها أي الى نفوسكم، وباسمنا قرّبوا تفاسير وبعّدوا غيرها حتى نسينا أننا كنا نطلب الأصل، وصارت للتفاسير هالة أصول جديدة.

انها المرتبة الثانية من الحاكمين احتلت المرتبة الأولى، وصار لنا أكثر من رأس، ضاقت مساحاتنا واتسعت مساحات الرؤساء.

مراجعات

من مجلة «أنباء موسكو» السوفياتية الصادرة في تموز ١٩٨٨، هذا المقطع:

«... إذن بقي أن نعرف مصير ١٠٤ أشخاص. ان سبعة منهم لم يتعرضوا للتنكيل في فترة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ واستمروا في ممارسة النشاط الحزبي والاقتصادي والعلمي، ومنهم كرجيجانوفسكي وبتروفسكي وزافتغين وغيرهم. ولكن ماذا حدث لـ ٩٧ شخصاً الآخرين؟.

توجد معلومات مباشرة تدل على أن غالبيتهم تعرضوا للتنكيل. أما إذا لم تكن المطبوعات تتضمن إشارات مباشرة الى أن هذا الشخص أو ذاك ، الذي توفي في فترة ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩، قد ذهب ضحية للتنكيل، فيمكن الحكم على ذلك بواسطة المعلومات غير المباشرة كعدم وجود نعوة بصدد وفاته في جرائد تلك الأعوام، وعلى هذا النحو تتحدد الى هذه الدرجة أو تلك من الدقة دائرةُ أعضاء اللجنة المركزية والمرشحين الى عضويتها الذين تعرضوا للتنكيل وظهرت إمكانية لتكوين تصور عن سير التنكيلات وت.اقبها».

محمد علي فرحات

رافاييل البرتي "أكثر الشعراء الاسبان انتاجاً": الشعر حاجة لكمال النفس

رافاييل البرتي، صلعة كبيرة، وشعر ابيض طويل يتدلى فوق جسمه الضخم، يلبس القمصان المزركشة... ذات الألوان الزاهية والفاتحة كلون عينيه تنعكس فيهما لون مياه البحر المتوسط في قادش ـ المدينة التي ولد فيها.

في سنه الخامسة والثمانين ويعتبر نفسه من جيل السابعة والعشرين وهو ما زال نشيطا، يكتب ويرسم، ويؤلف للمسرح، ويقوم بالقاء اشعاره، كما يقوم باعداد معرض لأعماله الفنية... لا يعرف التعب او الوهن، منذ عودته الى اسبانيا عام ١٩٧٧ بعد ان امضى في المنفى ٣٨ عاما

كان في الخامسة عشرة عندما ترك ميناء «سانتا ماريا» في قادش، للحضور والاقامة في مدريد. وفي العاصمة، هجر الدراسة الثانوية، ليكون له الوقت الكافي ليقضيه بين قاعات متحف السبرادو، وكان شغفه الاكبر آنذاك، هو الرسم والتصوير، وبالفعل خصص كل وقته بين الخامسة عشرة والثانية والعشرين في ممارسة هوايته وهو يقول: «قبل ان انغمر في عالم الشعر، كانت الكلمات تؤثر على عيني وتدمعها». وكتب في «البورادا الضائعة» كتابين عن تاريخ حياته، الا ان الصور للكلمات، حدت به لكتابة الشعر ليضفي على الكلمات لحنا موسيقيا، فقد اكتشف، بان الكلمات لها وقع غامض وتثير اعماق وتاريخ البشرية.

«ان الحروف الهجائية، هي كل شيء. وفي طريقة الكتابة، تتعرف على الأشياء.

من اوله الى نهايته

تجول عالم النغم للحروف الابجدية، فاستمعوا

الى كل الأحرف، تغني عبر موجات الاثير.

وما بين عامي ١٩٢٢ و١٩٢٣، بدأ رافاييل البرتي في الكتابة دون هجرة الرسم وتقدم الى احدى المسابقات، وفاز فيها. وفي عام ١٩٢٥ ظهر رافاييل البرتي كشاب يقرض الشعر، بل انه فاز بالجائزة الوطنية للاداب، وسرعان ما توجه الى اشبيلية مع نخبة الشعراء الذين حاولوا استعادة مجد شعراء الأندلس وعلى راسهم لويس دي غونغورا. وفي تلك الاونة، تكونت جماعة جيل الـ (٣٧) الادبية واتي كان البرتي احد اعضائها المؤسسين الى جانب اسماء لمعت مثل غارثيا لوركا، وعند اقتراب الحرب الأهلية الاسبانية انضم رافاييل البرتي الى الحزب الشيوعي، وقبل انتهاء الحرب الأهلية، توجه الى فرنسا في الوقت الذي كان قد وصلها الألمان بعد ذلك وكان بصحبة رفيقة حياته «ماريا تيريسا ليون»، فاضطر لأن يعد حقائبه ليتوجه الى الأرجنتين. ولما بدات الحالة تتازم في القرن الجنوبي عام ١٩٦٤، سافر الى ايطاليا حيث امضى سبعة عشر عاما. بعد هذه الجولة الطويلة، عاد الى اسبانيا عام ١٩٧٧، ورشح نفسه في اول انتخابات ديمقراطية، واختير عضوا بمجلس النواب، الا انه لم يظل في هذا المنصب كثيرا وقال: «انني افضل الكتابة التي لا املها ابدا، فاليوم الذي لا اكتب فيه فهو يوم مماتي.. انني اعتقد بان الحياة هي المقدرة على الانتاج وهي ايضا قدرة على الحب».

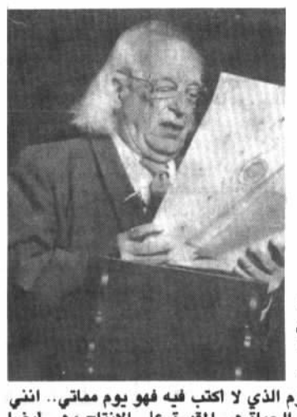

رافاييل البرتي يتسلم جائزة سرفانتس

وقد أصدر البرتي مؤخرا كتابا جمع فيه الكثير من الاشعار حول الحب الالهي والانساني بعنوان (شريد في الظلام)، كما ان الكتاب يحتوي على اشعار عن الغرام والشهوة. ومن نشاطه الحالي، اعداد مسرحية بعنوان (الرجل الخاوي) وهي تشير الى خلق العالم.

● وماذا تعد غير ذلك؟

□ «في القريب سوف تصدر طبعة تتضمن جميع انتاجي في اربعة كتب ضخمة، كل منها يحتوي على الف وخمسمائة صفحة... انني اكثر الشعراء انتاجا في اسبانيا».

بل وربما كان ايضا اكثرهم دلالا، ففي كل فترة قصيرة يقيمون له حفلات التكريم والحق يقال، بانه يستحق كل تكريم ، فقد اصدر اربعين كتابا منشورا.

● وهل انت مستمر في ممارسة الرسم؟

□ دون شك، الا انني احتفظ بلوحاتي في ايطاليا اذ انوي اقامة معرض في الربيع القادم.

من هنا نرى بان رافاييل البرتي، على تقدم سنه، كخلية النحل في النشاط والانتاج، الا ان حادثا شل حركته منذ عام ونصف عام. ويقول في هذا الصدد... «لقد كانت هذه الحادثة حادثة انتقام (الفرانكية) مني، اذ انها وقعت لي في الثامن عشر من يوليو الماضي، اي ذكرى نفس يوم قيام فرانكو ضد النظام الجمهوري منذ سنوات بعيدة».

والواقع بان هذا الحادث، اوقف نشاط هذا الشاعر العبقري الذي كان يمضي في الطائرات وقتا اكثر مما يقضيه في منزله. ويقول بان الشعر هو حاجة ماسة للانسان كالتنفس.

(عن «اسبانيا ٨٨» الصادرة عن مكتب الاعلام الديبلوماسي في وزارة الخارجية الاسبانية).

معرض جديد لشفيق عبود في تظاهرة عالمية للفنون في باريس

شفيق عبود ووضاح فارس في لقاء سابق في «فياك ٨٤»

المعرض الخامس عشر لتظاهرة فنون «الفياك ٨٨» (FIAC 88) يقام لغاية ٣٠ تشرين الاول الجاري في متحف الغراند باليه (القصر الكبير) في باريس، بمشاركة ٧٠ غاليري عالمية (من مختلف الجنسيات) و ٦٧ غاليري فرنسية من ضمنها غاليري وضاح فارس، التي تشارك بمعرض فردي «وان مان شو» لأعمال الفنان اللبناني شفيق عبود يتضمن مجموعة من تجاربه التجريدية ـ الغنائية الجديدة بعنوان «الليالي».

يذكر ان غاليري فارس سبق وقدمت عبود في تظاهرة «فياك ٨٤» اضافة لتقديمها لفنانين عرب آخرين من امثال آدم حنين واسادور بزدكيان.

سجلت تظاهرة معرض «الفياك ٨٨» حضوراً ملفتاً للفنون الاسبانية المعاصرة في مقابل بعض الانحسار الواضح للفنون الاميركية والسويسرية (نسبة للمعارض السابقة)، حتى ان ناقد جريدة لوموند «ايمانويل دي رو» وصف الحضور الاسباني (الذي تمثل من خلال ١٢ غاليري) بانه الحدث البارز في هذه التظاهرة العالمية التي اعادت الاعتبار لما اسماه «بنهضة الفنون الاسبانية الحديثة». فقد كانت ملامح هذه الفنون محصورة، في العشرين سنة الماضية، ضمن بعض التجارب الطليعية المنطلقة والمنتشرة اصلا خارج الحدود الاسبانية وابرزها لبيكاسو وميرو وسورا وارويو وشيلدا.

كما وصف ناقد «اللوموند» معارض «الفياك» بانها نظيفة وجميلة القت بعض الاضواء حول ابرز ظواهر الفنون الحديثة التي ظهرت في السبعينات والثمانينات، مع الأخذ بعين الاعتبار تقديم معارض استعادية عن فنون الخمسينات والستينات التي اطلقتها المدرسة الباريسية بالاخص الاتجاهات التجريدية الهندسية والغنائية والحركية واللاشكلية وكان ابرزها معرض استعادي لتجارب فازريللي (عن تجاربه في الخمسينات) ومعرض لزاووكي (قدمته غاليري اركوريال).

شعار المعرض

أخبار ثقافية

نجيب محفوظ لن يسافر الى استوكهولم

● قرر نجيب محفوظ عدم السفر الى استوكهولم لحضور الاحتفال الذي يقام بالعاصمة السويدية يوم ١٠ كانون الاول القادم وتسلم جائزة نوبل للادب عن العام الحالي، وذلك بناء على نصيحة الاطباء له بعدم السفر خشية تعرضه لاي مجهود قد يؤثر على حالته الصحية.

ولم يحدد بعد ما اذا كان احد افراد اسرته سوف يسافر الى السويد للمشاركة في الاحتفال.. ويعد الاديب نجيب محفوظ حاليا الخطاب الذي سوف يلقيه نيابة عنه السفير المصري في السويد في الاحتفال بتسليم جائزة نوبل.. كما يتسلم السفير المصري الجائزة نيابة عنه.

وكان نجيب محفوظ قد عانى من الاجهاد الشديد الذي تعرض له خلال الايام الماضية بعد اعلان فوزه بجائزة نوبل للادب.. والمعروف انه يعاني من ارتفاع في ضغط الدم ومن مرض السكر.

«المنابر» تحيي ذكرى الفنان شوشو

● في الذكرى الثالثة عشرة لرحيل الفنان حسن علاء الدين (شوشو) دعت مجلة «المنابر» لحضور احتفال خاص يشتمل على ندوة عنه في الرابعة من بعد ظهر الخميس ٣ تشرين الثاني ١٩٨٨، وعرض لتسجيلات من مسرحياته في الرابعة من بعد ظهر يومي الجمعة والسبت ٤ و٥ تشرين الثاني ١٩٨٨.

مكان الاحتفال في ايامه الثلاثة قاعة «الندوة» ـ الحمراء ـ خلف سينما بيكادلي تجاه عقيل اخوان.

جائزة فرنسية لسميح القاسم

● منحت جمعية التضامن الفرنسية العربية جائزتها للعام ١٩٨٨ في باريس، للشاعر الفلسطيني سميح القاسم عن ديوانه الاخير «احبك كما يشتهي الموت»، كما منحت الجائزة الادبية للكاتبة الفرنسية آن ماري ديلكمبر عن كتابها «كلمة الله»، اضافة الى تقديم جوائز شرف للكاتبين عبد القاسم العميلي ويونس نيكروف.

مدخل لدراسة الميزانية العامة في اقطار الخليج العربية

● صدر عن «مركز دراسات الوحدة العربية» كتاب جديد بعنوان «المورد الواحد والتوجه الانفاقي السائد» لمؤلفه الدكتور اسامة عبد الرحمن. يتكون الكتاب من ثمانية فصول ومقدمة وخاتمة، تتناول الاشكاليات المتعلقة بالميزانية وتاثيرها على التنمية في اقطار الخليج العربي. وبضوء الاعتماد على مورد واحد يتأتى عن ايرادات النفط. يسلط الكتاب الضوء على دور الميزانية باعتبارها اداة الدولة للتصرف بالموارد المالية ، ويهتم بطرائق وضعها، وكيفية الاستفادة منها. ويتطرق الكتاب الى قضيتين مترابطتين، الاولى هي اشكالية المورد الواحد وخطورة الاعتماد عليه وامكانات مسار التنمية، والثانية هي قضية المسار الانفاقي الاغداقي وامكانات الخروج من مساره. ويناقش الكتاب النتائج المترتبة عل العجز المالي، كما يثير الكتاب ثلاثة قضايا ملحة هي: قضية التلاحم العربي، ومسالة اصلاح الميزانية، والتحديات المحيطة بالمورد الواحد.

٢١٦ صفحة من القطع الكبير.

عروض لافلام اسبانية

● يستعيد المركز الثقافي الاسباني نشاطه السينمائي بتقديم سلسلة من العروض لاشهر الافلام الاسبانية (دون ترجمة)، يبداها بعرض لفيلم «لحظات من السعادة» للمخرج كارلوس سورا اضافة لفيلم قصير عن حياة «صوريا» و «انطونيو متشادو»، وذلك في الرابعة والنصف من بعد ظهر اليوم (الجمعة) في صالة المركز الاسباني (شارع بعلبك ـ الكومودور ـ بناية عساف الطابق الاول)

"اللغة ليست عقلاً" "بين الناقد والمؤلف (٣)
اللسان الطبيعي نشاط بيولوجي مميّز

٦ ـ موت الملكة وظهور علوم اللسان العربي

من المزالق التي يتعرض لها الباحث ـ الاديب : ان الكلام الآخذ في التشكل امامه ينشق عن صورة ادبية تعبر له عن جانب من جوانب الموضوع، الا ان تعبيرها لا يكون مطابقا للحقيقة، او يكون مفتقرا الى الدقة، فيغريه جمال الصورة ويصرفه عن هذا العيب، ثم يمضي في طريقها ويكون من ذلك ما يكون. هذه «التجربة» التي سبق لنا الوقوع فيها، نرجح ان الصديق ابو مصلح قد وقع هو ايضا فيها.

قال في عدد ٨/ ٩/ ٨٨، العمود الاول، من رسالته الينا:

«اليس هذا العلم[1] ابنا للملكة ولدته لما احست بدنو الاجل ليرث عنها العرش؟».

إنها، كما نرى، صورة ادبية واضحة نجمت للاستاذ من كلامه، فوقف عندها، وتعلق بها، ثم راح يدافع عن مضمونها المنقطع عن الواقع. انها عملية انزلاق وقع فيها، وكان لها جانبان:

الجانب الاول جانب لفظي بسيط انتقل معه من «الملكة» بفتح اللام، الى «الملكة» بكسرها فغدت ملكة اللغة ملكة، وصار كل شيء في اللغة يأتمر بامرها ويخضع لنواميسها . انه تصور سليم نوافقه عليه: لانه يفضي الى الحدس اللغوي، او الكفاية اللغوية .

الجانب الثاني جانب مضموني تاريخي ـ لغوي ورطته فيه الصورة الادبية التي عبر بها عنه.

واذا كان كلامه عن ملكة ـ ام تحس دنو الاجل ، فتخاف على العرش، فتلد وريثا يتربع عليه، كلاماً مرفوضاً، لانه، كما سنرى، كلام يشوبه الخيال، حتى بمضمونه التاريخي الذي ترمز الصورة اليه، فاننا ، قبل الوقوف امام هذا المضمون، نود ان نقف قليلا امام مضمونه اللغوي الذي يمس مبدأ خطيراً من مبادىء اللغة المتمثلة باللسان العربي.

ان الاستاذ ابو مصلح، بصورته الادبية المبينة، انما يطرح امرا لا نخاله قادرا على اثباته. انه يقول: ان ملكة اللغة العربية الفصحى، او الفصيحة بتعبيره هو، قد ماتت ولم يبق لها وجود، وان قواعد هذه اللغة، (يعني القواعد المجردة الماثلة في كتب القواعد)، قد حلت محل الملكة الكاحلة، وصار لها سلطانها والنواميس. وكما ان العرب كانوا يكتسبون لغتهم الفصحى بالملكة النابضة في ضميرهم اللغوي ، فانهم الان يكتسبونها بالقواعد الماثلة في الكتب.

هل هذا صحيح؟

في النقطة الثالثة من نقاط مدخلنا، اشرنا الى بحث نقوم باعداده موضوعه: كليات الكلام النحوية وجزئياته؛ وقلنا: ان هذا البحث يبين، من اللغة الفصحى، جانب الحدس وجانب العقل ويرسم الحدود بين الجانبين.

ونضيف هنا اننا، في ذلك البحث، سنظهر، لقواعد الكتب، (لما نسميه «قواعد الكتب»)، حدودا واضحة ليس لاحد ان يتخطاها في عملية اكتسابه للغة الفصحى، اي اننا سنثبت: ان ليس لاحد ان يستغني بقواعد الكتب عن القواعد الضمنية الكامنة في جسد اللسان، التي تشكل نظاماً متكاملاً، والتي لا يستطيع النحاة ان يكشفوا الا بقعا محدودة من مساحتها المترامية. كذلك سنثبت ان الملكة التي نعاها الاستاذ ابو مصلح الى ابنائها واكد موتها انما هي حية ترزق، ينبض جسدها، ويتحرك بحرها، وليس لتدافع امواجها وتتابعها الى شاطىء الكلام ان يفسر الا بحياتها.

على ان نوضح، مما نحن فيه، امراً ينبغي ان يوضح: اننا، في تصورنا للموضوع، انما نتكلم عن العبارة لا عن الكلمة المفردة / عن الكلام لا عن الكلمات التي تدخل فيه. او قل: اننا نتكلم عن الكلام اكثر بكثير مما نتكلم عن الكلمات: لان الكلام هو الذي يمثل اللسان واللغة ويجسدهما وليست الكلمات[2].

ولقد لاحظنا، من الشواهد التي انطلق منها الاستاذ ابو مصلح، والسياق الذي وردت فيه، انه يتوجه الى الكلمات («الراديات»، «التلافيز»، «الشُكُلات» اي الشوكولاتة)، ولم نلاحظ منه توجهاً واضحاً الى الكلام وسيثبت لنا البحث الذي نعد به، (كليات الكلام النحوية وجزئياته)، ان للكلام حَرَماً نحوياً تركيبياً ليس لنحوي ان يقرأ حرفاً واحداً من كتابه، وان الحدس، بعتمته المضيئة، وحده القادر على القراءة فيه. حتى الذين يسقطهم الاستاذ ابو مصلح من حسابه، وينظر اليهم بمنظاره المتشدد، ويحكم عليهم بالضعف او الجهل ، حتى هؤلاء يستطيعون، بالحدس الذي يقرّا لهم، ان ينشئوا، من الكلام اليومي المتدفق، ما يواجهون به الحياة اليومية النابضة، باغراضها المتنوعة. والا، فكيف لاكبر فئة من فئاتهم، فئة المنشئين الاعلاميين، ان تكتب في كل يوم ما تكتب؟ هل يعتقد الاستاذ ابو مصلح ان بحر الاعلام اليومي الزخّار، الذي تتدافع امواجه بلا عدد وتتوالى الى شاطىء الكلام، هو حاصل رياضي بسيط لتطبيق القواعد، قواعد النحاة، او قواعد الكتب المحدودة المحددة؟

إن لساناً يحصل من طريق القواعد المجردة وحدها (explicites les règles) قواعد الكتب، اي من طريق العقل، هو لسان صناعي، (اي لسان ميت) يقوم على التفكير والقياس والحساب، وليس لساناً طبيعيا. ان اللسان الطبيعي، على الاقل في كلياته النحوية الكبرى التي يقوم بها، هو نشاط بيولوجي مميز، ينفرد عن النشاطات البيولوجية الاخرى بعنصر الفكر الذي يداخله ويمازجه. ومن يقول ببيولوجية اللغة لا يمكن الا ان يقول بتطورها.

وناتي الى الجانب التاريخي من الموضوع لنقف قليلا امام الربط المبسط بين «موت الملكة» وظهور «علم اللغة»، اي علم النحو او علوم اللسان العربي، وهو الربط الذي قال به ابو مصلح، وعبر عنه بصورته الادبية التي عرضناها.

اننا نرى ان علم اللغة ، او العلم الذي ندرس به لسانا من الالسنة، (بكلمة اكثر ارتباطا بالموضوع)، انما هو علم كسائر العلوم. وما يحرك عالم اللغة الى وصف لسانه وتقعيده، او وصف ايّ لسان وتقعيده، هو نفسه ما يحرك العلماء الآخرين، طلب المعرفة وكشف الحقيقة. وطلب المعرفة وكشف الحقيقة، في اللغة وسواها، هو خط واضح من الخطوط التي ترسم بها خريطة الانسان، وحد بارز من حدوده.

اما ظهور اللحن في اللسان العربي عامة، وفي قراءة القرآن الكريم خاصة ، نتيجة احتكاك العرب بالاعاجم الداخلين في الاسلام، فقد كان عاملا بالغ الاهمية من العوامل التي دفعت اولي الامر في الدولة الاسلامية الى تحصين اللسان وصونه، لان اللحن الذي يمس القرآن انما يمس اساس الدولة الناشئة.

الا ان ذلك لم يكن كل شيء. والعقل العربي الذي كان حاضراً لتلقي الدين الجديد، بِبُعْده الروحي وزاده الفكري، كان حاضراً في ميدان اللغة التي تشكل عملية اكتناهها مظهراً من مظاهر النشاط الفكري. وطبيعي ان هذا الحضور لم يكن محصوراً في حقل النحو وحقل الاعراب. وإلا ، كان لنا ان نسأل: اي «لحن» تراه ظهر في بحور الشعر واوزانه فدفع الخليل بن احمد الى استخراج العروض؟

واذا كان علم النحو العربي ، بابنيه الرئيسيين المعروفين، باب الكلمة المفردة وباب الكلمة المركبة، اي باب الصرف وباب النحو، يقدم لنا معرفة علمية تطبيقية تضبط لنا بنية بعض الكلمات المُلْبسة، وتضبط لنا جوانب محدودة من التركيب نسمّيها «جزئيات الكلام النحوية»[3] كما تضبط لنا حالات «الاعراب الادراكي»[4]، فان علم العروض لا يقدم لنا الا معرفة تبصرية تجعلنا نعي نظريا ما نُحْسن القيام به عملياً ، فنشاته، لذلك، لا يمكن الا ان تكون نشاة تبصرية نظرية تُردّ الى رغبة الاكتناه الكامنة في الذات البشرية المدركة، وليس لها، (ليس للنشاة)، ان ترتبط بما يقابل اللحن الذي كان عاملاً من عوامل نشاة علم النحو. انها خصوصية الاوزان الشعرية التي تتميز من الجوانب الادراكية لتركيب الكلام. اننا نحس هذه الاوزان ونطبقها قبل ان ندركها، ونحسها ونطبقها بعد ان ندركها، ونحسها ونطبقها، دون ان ندركها اصلا، احساسا سبق الخليل وتلاه، وانطق ابا العتاهية الذي عايش الخليل ثم عاش بعده[5] الذي قال لمن اخذ عليه مخالفته لعروض الخليل: «انا سبقت الخليل».

فنشاة علم النحو، اذن، ابعد من التصور المبسط الذي انطلق منه الشيخ كمال وبنى عليه مقولة موت الملكة، واقامة وريث على عرشها الخالي، وهي، كما بينا، مقولة ساقطة يدل على سقوطها ويشير اليه نبض في العروق يتجسد كل يوم بالكلام المتدفق في حسنا كالانهار.

٧ ـ التضمين النحوي

نذكر القارىء بنقطتين:

ـ ان التضمين النحوي هو موضوع احدى الحواشي الثلاث التي شغلت معظم الرسالة التي وجهها الاستاذ ابو مصلح الينا، ونقد بها كتابنا، ورد عليه، وشاركنا في البحث.

ـ ان الحيز الذي تناول به التضمين النحوي قد امتد على اربعة من اعمدة الرسالة التسعة (٩/ ٤).

ثم نضيف، ههنا، ان عمودين اثنين على الاقل من العواميد الاربعة هذه، قد شغلها الشيخ كمال بكلام يقع، من الموضوع، في حواشيه، وان ليس لمضمونه الموزع بين ادبيات قومية عامة، واتهام لنا بهدم اللغة، والسخرية من العمود الحرفي للسان العربي، والاستهتار بالقاموس، الخ.. ، ليس لهذا المضمون ابدا ان يدخل في بحث التضمين النحوي، واننا نجاوزه، هو وسواه مما اوله علينا او جعلنا نقوله او نقول به، الى ما يعرفه هو عنا نستمد منه ردا يشاركنا في صوغه.

اما التضمين النحوي الذي يعنينا، فانه ، على اهميته، موضوع غير شائع؛ وكان من حق القارىء ان نبدا بتعريفه له، او تعريفه عليه، قبل خوض النقاش فيه، الا ان ما يتضمنه النقاش من عرض لجوانب الموضوع يمكن ان يغنينا عن التعريف والتعرف.

واما ما تناوله رد الاستاذ من موضوع التضمين، ففيه عناصر ابرزها:

ـ تصويب قاموسي لقولنا: «تَعَرُّف على الشيء».

ـ تعليل لوقوعنا في هذا التركيب، والقول بعاميته .

ـ عدم القبول به يعود الى انحصاره في زاوية من زوايا الوطن العربي منها لبنان، وعدم شيوعه في دول الجامعة العربية..

ـ ـ لجوؤنا الى التضمين لتبرير «تَعَرُّف على» امر مرفوض.

ـ مواجهة ما ورد في القرآن الكريم من افعال قليلة العدد منها «اصطفى على»، «رأى الى»، انما يكون بظاهرة نحوية يمكن ان تسمى ظاهرة «تغير معنى الفعل بتغير حرف الجر» ولا يكون ببدعة التضمين التي ادعاها المفسرون.

ـ لو كان التضمين قاعدة مطردة لانتهى امر اللغة.

ولان الاستاذ ابو مصلح يرفض قاعدة التضمين النحوي اصلا،

ولاننا نخالفه في ذلك فنرى ان التضمين ظاهرة عامة لها صفة القانون او القاعدة،

فاننا نفضل ان نجاوز ما ورد في كلامه من تفاصيل يمكن ان تناقش، (منها: تخطئتنا في «تَعَرُّف على» وانحصار هذا التركيب في زاوية من زوايا الوطن العربي، وقلة شواهد التضمين في القرآن)، لنبحث التضمين بمبدأه العام وقانونه او قاعدته، ويكون لنا، من هذا البحث، رد غير مباشر على الاستاذ:

اما جوانب البحث، فاننا، بصورة اوّلية، نرى انها يمكن ان تكون:

ـ عدم كون التضمين النحوي بدعة لجا اليها المفسرون.

ـ شواهد التضمين في القرآن وسواه.

ـ تمييز التضمين النحوي من دخول حروف الجر على المتعلق.

ـ الاساس العام للتضمين النحوي.

ـ تعريف التضمين النحوي.

اننا نطرح هذه الجوانب، ولا ندري ما الذي تصير اليه عند توسيع الكلام عليها ببحث جاد لمضمونها،

معتذرين عن اضطرارنا الى الاكتفاء بطرحها: لان وقتنا نحن فيه لا يتيح لنا ان نخط حرفا واحدا اخر،

متطلعين الى فرصة نكمل بها ما بدانا.

شاكرين للصديق الشيخ كمال ابو مصلح انه قرا وعلق وَرَدَ وبحَثَ ، وانه دفعنا الى كتابة ما لم يكن لنا ان نكتبه لولاه،

موجهين اليه، في الختام، كلمة خاطَبْنا بها في مقدمة رسالته الينا قوله:

«... لكنني موقن انك طالب معرفة، اي رجل علم. ورجل العلم طالب حقيقة . وطالب الحقيقة عبد لها. وعبد الحقيقة من سادة الاحرار».

أحمد حاطوم

هوامش

(١) يقصد «علم اللغة»، اي علم النحو، او علوم اللسان العربي.

(٢) اما الاعراب الذي جعلنا الكلام عنه في الحاشية، فانه، في موضوعنا، وفي مجمل غالب منه نسميه «الاعراب الادراكي»، انما يكون في الحاشية؛ ليس للملكة من السلطان عليه الا في حيز محدود من مساحته سميناه «الاعراب الحدسي»، في بحث لنا عن الاعراب غير منشور.

(٣) جزئيات الكلام النحوية هي الجوانب التركيبية التي يمكن ادراكها ووصفها وتقعيدها وتطبيقها في انشاء الكلام، وهي، من هذه الناحية، تختلف عن الكليات الكبرى، ما نسميه نحن «كليات كبرى» لا تقبل الوصف والتقعيد. (انظر البحث الذي اشرنا اليه في النقطة الثالثة من نقاط مدخلنا)

(٤) في دراسة لنا غير منشورة عن ظاهرة الاعراب في اللسان العربي، قسمنا الاعراب الى: «اعراب حدسي» يدرك بالحدس ويطبق بالحدس، و «اعراب ادراكي» يدرك بالعقل ويطبق بالعقل، اي ان التفكير يكون مصاحبا لعملية تطبيقه في الكلام. وقد بينا في الدراسة ان الاعراب الادراكي يشغل الحيز الاعظم من مساحة الاعراب الكلية.

(٥) حياة الخليل: ١٠٠ ـ ١٧٠ هـ / ٧١٨ ـ ٧٨٦م، وحياة ابي العتاهية: ١٣٠ ـ ٢١١ هـ /٧٤٨ ـ ٨٢٦ م

(*) في القسم الاول، من هذه المقالة، المنشور في عدد الاربعاء الماضي، سقط سهوا جزء اساسي من النقطة الثالثة من نقاط المقدمة. وها هو النص الكامل للنقطة المذكورة:

الثالثة: ان قارئا متبصرا يعرف الرابطة التي تشد احمد حاطوم الى كمال ابو مصلح، ثم يلاحظ ما يتسم به نقاشهما من عمق وحدة، لا يستطيع الا ان يرى نفسه امام نموذج دال من نماذج الصداقة النقية ، القادرة على التشبه بقاض عادل ما ان يلمح نسيبا له او صديقا بين المتقاضين الماثلين امامه، حت يسارع الى التنحي عن القضية، والنزول عن القوس، ليتيح للعدل الا يشاب.

الحبابي وافتراق الشمال والجنوب

دعا المفكر المغربي محمد عزيز الحبابي الى قطع كل الجسور مع الدول المتقدمة و«شن حرب بلا هوادة ضدها لحملها على التعاون معنا من اجل حل مشكلة الديون ومن اجل مستقبلها».

وتساءل الحبابي في حديث صحافي عما يخبئه الغد لدول العالم الثالث «اذا ما واصلت الدول الغنية استغلالها للدول الفقيرة بهذه الصورة المخزية»، وقال: «من الضروري ان تدرك دول العالم الثالث اخيرا ان الهوة تزداد اتساعا، يوميا وعلى كل المستويات بينها وبين الدول الغنية، وانه من الضروري ان توحد جهودها لمنع قطار التقدم من الانطلاق بدونها. فإما ان ناخذ هذا القطار سويا نحو الحضارة ما بعد الصناعية او لا ينطلق احد منا على الاطلاق.. وان لم نفعل فسنختلف عن حضارة بكاملها وسنكون في هذه الحال نمطا بشريا متخلفا عنهم».

الحبابي الذي طرح هذه الافكار «الذاتية الواقعية» التي نال على اساسها درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف من السوربون عام ١٩٥٢، ذكر لوكالة الصحافة الفرنسية انه اراد ان يكون «انسانا وليس مجرد شخص منشىء».

سينما

■ اتوال هـ ٣٤٢٦١٦
(مقفلة).

■ اسباس هـ ٩١٨٨٤٧
١ ـ «جسر بين قمرين» (الجنس والزواج في قصة حب غير مبررة ـ لمن يرغب).
٢ ـ «نار خلفية» (تشويق من بطولة كيث كارادين ـ لمن يرغب).
٣ ـ «سايفون» (دراما من وحي الحرب الفيتنامية ـ للجميع).
٤ ـ «لوكاس» (من افلام العرض الاول ـ لمن يرغب).
٥ ـ «المصيفة القذرة» (كوميديا خفيفة ـ لمن يرغب).

■ استرال هـ ٣٤٩٤٥٥
١ ـ «الوهم القاتل» (دراما بوليسية ـ للجميع).
٢ ـ «رقص قذر» (الشباب والموسيقى في استعادة لحقبة الستينات ـ للجميع).

■ الحمراء هـ ٣٤٢٠٤٤
«صقور شرقيون» (عنف ودماء ـ لمن يرغب).

■ الدورادو هـ ٣٤١٧٢٣
«سايفون» (راجع برنامج سينما اسباس ٣).

■ أمير هـ ٣٢٨٨٠٦
٢ ـ «مطاردة قاتلة» (سيدني بواتييه العائد من طول غياب في مغامرة بوليسية ـ للجميع).
٣ ـ «جسر بين قمرين» (راجع برنامج سينما اسباس ١).

■ برودواي هـ ٣٤٥٢٩٤
«سنيورا» (بعض الاثارة لمن يرغب).

■ بريزيدانس هـ ٩٣٤٧٥٢
١ ـ «جنون المال» (مطاردات ومفارقات ضاحكة ـ لمن يرغب).
٢ ـ «وخلق الله المراة» (انتاج اميركي للمخرج الفرنسي روجيه فاديم الذي يعيد تصوير الفيلم الذي اطلق بريجيت باردو الى سماء الشهرة ـ للجميع).
٣ ـ «رقص قذر» (راجع برنامج سينما استرال ٢).
٤ ـ «عيب يا رستم» (كوميديا لبنانية لوئام الصعيدي، من بطولة كريم ابو شقرا ـ لمن يرغب).

■ سارولا هـ ٣٥٠٠٦٧
«نيكو» (بطل اميركي جديد لمنافسة رامبو ـ لمن يرغب).

■ ستراند هـ ٣٤١٧٢٤
«طريق التقاطع» (دراما عاطفية ـ لمن يرغب).

■ جان دارك
«الرغبات الاولى» (بنات قاصرات وصور عارية شفافة للمخرج ديفيد هاميلتون ـ لمن يرغب).

■ فاندوم هـ ٤٤٣٩٩٢
«ذهب مع الريح» (اعادة للاستعراض الهوليوودي الكلاسيكي . قصة حب في حماة الحر